اسم استانبول أقديم أم جديد

الأستاذ عدنان قيطاز

القسطنطينية مدينة تربط بين حضارتين، وجسر يصل بين قارتين، تربط بين حضارة الشرق والغرب، وتصل بين آسية وأوربة. وقد بنيت في موقع بيزنطوم (١) القديم على سبعة تلال تطل على القرن الذهبي ذراع البوسفور عام ٣٢٤ م، تماماً كما بنيت مدينة روما على سبعة تلال وأطلق عليها أول الامر اسم «روما الجديدة». وهذه التسمية أقدم تسمية عرفت بها مدينة القسطنطينية، غير أن هذه التسمية لم تدم أكثر من اثنتي عشرة سنة، أي حتى سنة ٣٣٦ م (٢).

ويرى المؤرخ «مير» في كتابة «التاريخ العام» أن اسم بيزنطة تحول إكراماً لبانيها إلى اسم القسطنطينية نسبة الى الامبراطور قسطنطين، وهو أول من تنصر من أباطرة الرومان. وقد دفعه لبنائها اسباب متعددة :

أ ـ دينية : وتتلخص في اعتناقه دين النصرانية ونبذه آلهة روما الوثنية،

ب ـ حربية : لان أشد أعداء الامبراطورية خطراً كانوا في الشرق، وهم الفرس.

جـ ـ اجتماعية وسياسية : وتتعلق بالفتوح الرومانية في الشرق، والتي

---

١ ـ نسبة الى مؤسسها الأسطوري بيزانس، (الموسوعة الفرنسية).

٢ ـ انظر الموسوعة الفرنسية ـ مادة استانبول

نقلت غنى الامبراطورية وآدابها إليه (١) .

وقد طغى على القسم الشرقي من الامبراطورية الطابع اليوناني ، والذي أصبح يعرف فيما بعد باسم الإمبراطورية البيزنطية ، وهي التي وردت في المصادر العربية باسم « دولة الروم » وكانت القسطنطينية عاصمة لها ، وقد وأخفقت في العصور الإسلامية كل محاولات العرب المتكررة لفتحها وبسط سيادتهم عليها أيام الامويين والعباسيين ، وبقيت القسطنطينية مدينة شامخة طوال احد عشر قرناً من الزمن كعاصمة للإمبراطورية البيزنطية وكمركز ديني للطوائف المسيحية وكانت اكبر مدينة أوروبية في العصور الوسطى حتى تضاءل شأنها إثر هجمات الاتراك العثمانيين مما أدى الى هجرة الاغريق عنها ونزوحهم إلى ايطالية ، وبخاصة علماؤهم . . فكانت هجرتهم عاملاً من عوامل النهضة الاوربية . وما كاد عام ١٤٥٣ الميلادي يسطع حتى سقطت المدينة بيد السلطان العثماني محمد الثاني الذي اصبح يعرف في التاريخ باسم محمد الفاتح تخليداً لهذا الفتح المبين . وكان سقوطها إيذاناً بانتهاء العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة ، على رأي بعض المؤرخين ، وآخر أباطرتها قسطنطين الحادي عشر (١٤٤٨ ـ ١٤٥٣) م الذي سقط صريعاً على ارض المعركة دفاعاً عن القسطنطينية .

لكن المدينة سرعان ما ازدهرت في ظل سلاطين بني عثمان ، واصبحت مركزاً سياسياً وتجارياً عظيماً في أوربة ، كما ازدهرت عمرانياً ، فهي تزخر بالعمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وأضرحة أهمها المسجد السليماني وهو اجمل وافخم مساجدها ، ومسجد السلطان سليم . . ويعد منبره ومحرابه آيتين في فن النحت الاسلامي ، ومسجد السلطان أحمد وهو اعجوبة في فن العمارة العثمانية . . كما يتفرد بين مساجد تركية بمآذنه الست ، ويعرف بالمسجد

١ ـ التاريخ العام ـ مير ص ١٨٣

الازرق لان جدرانه مغطاة بالقاشاني الأزرق والاخضر (١) .. بالاضافة الى مسجد أبي أيوب الانصاري الذي جرت العادة فيه ان كل من يتولى السلطنة من آل عثمان يتقلد سيف عثمان خان الغازي الاول بهذا المسجد تيمناً وبركة ، وهذا الاحتفال يعد بمثابة التتويج عند ملوك الافرنج (٢) . ولم تزل هـــذه العادة متبعة حتى انقضاء عهد السلطنة وقيام الجمهورية وانتقال العاصمة إلى أنقرة ايام مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٣ .

ولفظة « القسطنطينية » تعرف حينا وتنكر حيناً آخر ، فقد ذكرها الطبري في تاريخه بـدون « أل » التعريف ، وذكرها المسعودي في « التنبيه والاشراف » معرفـــة . بينما نجد ياقوتاً الحموي في معجم البلدان يعرفها تارة وينكرها أخرى . ووردت عنـــد أبي الفداء في « تقويم البلدان » معرفة . و « أل » التعريف هنا زائدة غير لازمة كزيادتها في بعض اسماء الاعلام كقولنا : النعمان والرشيد . . ولذا يجوز فيها الحذف والاثبات .

وهناك اعتقاد سائد لدى طائفة من الباحثين العرب ان اسم « استانبول » هو الاسم الجديد لمدينة القسطنطينية ، ولم تعرف به إلا بعـــد الفتح العثماني عام ١٤٥٣ م حتى أن الموسوعة الفرنسية تذكر بأن القسطنطينية هي الاسم القديم لمدينة استانبول .

كما يرى بعضهم أن السلطان محمد الثاني بعد انهيار الإمبراطورية البيزنطية وسقوط القسطنطينية على يديه قد عمد إلى تغيير ملامح المدينة القديمة وإضفاء الطابع الإسلامي حتى على اسمها فأطلق عليها « اسلام بول » أي مدينة الاسلام ، ومع الزمن تحورت التسمية وانقلبت إلى استانبول اواسطنبول .

غير أن هذا الاعتقاد لايقوم على حقيقة ، ولم يثبت أمام الادلة التاريخية

---

١ ــ الموسوعة العربية الميسرة ـ مادة استانبول
٢ ــ انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٥٩

التي عثرت عليها في بعض المصادر العربية القديمة والاجنبية الحديثة :

١ ـ يذكر المسعودي (٣٤٦) هـ في تاريخه « التنبيه والاشراف » : ان الروم يسمونها إلى وقتنا هـذا المؤرخ به كتابنا (بولن) واذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا (استن بولن) ولايدعونها القسطنطينية ، وإنما العرب تعبر عنها بذلك .. » (١)

٢ ـ ويذكر ياقوت الحموي « ٦٢٦ » هـ في كتابه « معجم البلدان » مانصه : « اصطنبول بسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو هو اسم لمدينة القسطنطينية » (٢)

ويشير ياقوت في مكان آخر بأن قسطنطين الاكبر انتقل الى بيزنطة وبنى عليها سوراً وسماها قسطنطينية ، وهي دار ملكهم الى اليوم ، واسمها اصطنبول . (٣)

٣ ـ كما يذكر أبوالفداء صاحب حماه « ٧٣٢ » هـ في كتابه « تقويم البلدان » بأن القسطنطينية هي اسطنبول . (٤)

وقد أخذت بعض المصادر الحديثة بهذه المقولة ، إذ جاء في الموسوعة البريطانية ان القسطنطينية أطلق عليها اسم « استانبول » قبل عام ١٤٥٣ م أي قبل الفتح العثماني للمدينة (٥) خلافاً لما ورد في الموسوعة الفرنسية التي تقول بأن القسطنطينية هي الاسم القديم لمدينة استانبول كما مر آنفاً (٦) .

---

١ ـ انظر التنبية والاشراف ص ١٢٠
٢ ـ انظر معجم البلدان ج ١ ـ ٢٧٧
٣ ـ المرجع السابق ج ٧ - ٩٤
٤ ـ تقويم البلدان ص ٣٢
٥ ـ المجلد الثاني عشر ـ مادة استانبول
٦ ـ المجلد السادس ـ مادة استانبول

ويستفاد من عبارة المسعودي أن كلمة « استانبول » مركبة من لفظتين :

- « استن أو استان » وهي فارسية دخيلة على اليونانية وتعني « موضعاً أو مكاناً أو بلاداً » . وقد ورد في تاريخ الطبري أكثر من مكان باسم «استان» فهناك «استان العال» قرب المدائن (١) « و استان بهرسير »إلى جانب دجلة(٢) .

- « بولن » وهي من أصل يوناني وتعني « مدينة » .

وبذلك يكون معنى كلمة « استانبول » مدينة البلاد ، وفي هذه التسمية إعظام للمدينة ، ومثل هذه التسميات أمر مألوف ، فنحن نقول مثلاً عن مكة المكرمة أم القرى ، في القرآن الكريم قوله تعالى « لتنذر أم القرى ومن حولها »(٣) أو نقول عن لندن عاصمة المملكة المتحدة عاصمة العواصم .

وفي الموسوعة البريطانية خلاف ذلك ، فهي تقول بأن كلمة استانبول تحريف للكلمة العامية اليونانية « استنبولي Stinboli » وتتألف من ثلاث مقاطع « Eis - Tin - Polin » ولاتعني أكثر من « في المدينة in the City » كأن نقول لأحدهم إذا حضر من غياب أوسفر : أين كنت ؟فيجيب في المدينة .. مشيراً بذلك إلى مكان معلوم ولايحتاج إلى تسمية لشهرته .

وقد نقل العرب عن اليونان اسم « استانبول » ووردت في آثارهم كما ذكرت سابقاً . وهذا يعلل قول المسعودي ‘ . . وإنما العرب تعبر عنها بذلك .

وسواء أصدقت عبارة المؤرخ والجغرافي العربي المسعودي ام عبارة الموسوعة البريطانية فإن اسم « استانبول » مرافق لاسم القسطنطينية منذ القديم

---

١ - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ - ١٢٢

٢ - المرجع السابق ج ٥ - ٢٠٤

٣ - سورة الشورى الآية ٧

وليس اسماً جديداً شاع بعد الفتح العثماني . والخطأ التاريخي أولى بالتصويب .

نعم .. هناك حقيقة تاريخية لابد من ذكرها ، وهي أن السلطان العثماني محمداً الثاني فاتح القسطنطينية أطلق على المدينة اسم « اسلام بول » أي مدينة الإسلام حسب ماذكر محمد فريد بك في تاريخه (١). ومن كلمة «استانبول» أخذ العثمانيون كلمة «الآستانة» ، كما أطلق عليها في العصر الحميدي اسم «فروق» ودار السلام وقبلاً كانوا يسمونها دار السلطنة ودار الخلافة .

قال أمير الشعراء أحمد شوقي وهو في طريقه الى الآستانة قادماً من أوربة :

تاهت (فروق) على العواصم وازدهت

بجلوس أصيد باذخ المقدار

أخذت على (البوسفور) زخرفها دجى

وتلألأت كمنازل الأقمار (٢)

وقال الشاعر اللبناني الدكتور نقولا فياض في حريق الآستانه عام ١٩٠٨ وفي قوله إشارة إلى أن استانبول هي « إسلام بول » مدينه الإسلام ودار السلام:

أحريق (إسلام بول) هجت لواعجاً

وجعلت أيام السرور قصارا

دار السلام سلمت للعليا ولا

أخلى الزمان من الرضى لك دارا (٣)

---

١ ــ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٦١

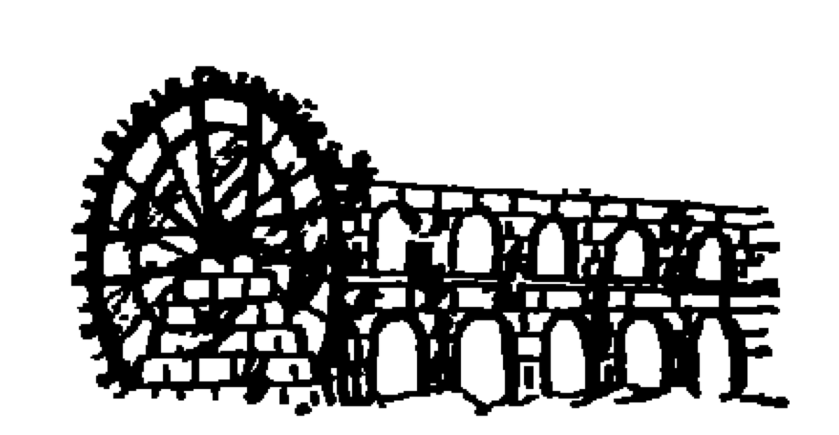
٢ ــ الشوقيات ج ٢ ص ٣٩

٣ ــ ديوان رفيف الاقحوان ص ٣١

وسوف تبقى استانبول مدينة مجيدة ومركزاً عالمياً ، وسوف يظل صوت الشاعر الفرنسي جيلياس « Gyllias » في أنشودته القادمة إلينا عبر القرون :

« بعض المدن يمكن أن تموت ، أما استانبول فستبقى مابقي على الارض بشر » .

عدنان قيطاز ـ حماة



★ مصادر البحث ★

- تاريخ الرسل والملوك للطبري : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الثانية دار المعارف بمصر - ١٩٦٧
- تاريخ التنبيه والاشراف للمسعودي : طبعة دار التراث بيروت - ١٩٦٨
- معجم البلدان لياقوت الحموي : الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦
- تقويم البلدان لأبي الفداء : طبعة مصورة عن الطبعة الباريسية - ١٨٤٠
- تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك : الطبعة الثانية - مصر - ١٨٩٦
- السلطان محمد الفاتح للدكتور محمد مصطفى صفوت : دار الفكر العربي مصر - ١٩٤٨
- التاريخ العام للمؤرخ الامريكي فيليب فانس مير - ترجمة المرسلين الامريكيين في بيروت - الطبعة الاولى - المطبعة الامريكية - ١٩١٢
- الموسوعة البريطانية - المجلد الثاني عشر - ١٩٧١ مادة استانبول Istanbul
- الموسوعة الفرنسية - المجلد السادس - ١٩٧٤ مادة استانبول Istanbul
- الموسوعة العربية الميسرة - الطبعة المصورة - دار الشعب - مصر ١٩٦٥
- ديوان الشوقيات - الجزء الثاني - طبعة مصرية - ١٩٥٨
- ديوان رفيف الاقحوان للدكتور نقولا فياض - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٠
- مجلة العربي الكويتية : العدد ٢٣٢ آذار ١٩٧٨

